الجزء التاسع — (المجلد الرابع)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاربعاء ١٦ ربيع الاول سنة ١٣١٩ — ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١)

التقليد

« خطاب ألقاه في المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت الفاضل الاديب »

[illegible]

من تأمل هذه الوجود بعين الحكمة يعجب ويأخذه الحيرة لما يظهر له ما يطرأ على الامم من التغيرات والتقلبات : فبينا هو ينظر في باب من ابواب التاريخ الى ماوصلت اليه الامة المصرية مثلاً ايام الفراعنة من العظمة والمجد المؤثل يرى في باب آخر ان هذه العظمة قد انتقلت وهذا المجد قد زال واصبحت تلك الامة في قبضة امة اخرى تتصرف فيها كيفما شاءت وشاء الهوى . وما قيل عن المصريين يقال عن الكلدانيين والاشوريين والبابليين واليونان والرومان . امم زالت وآثارها تشهد لها بان ذكرها لن يزول . ولعمري لو نظر احدنا الى ممفيس ايام مجدها أو الى نينوه ايام عزها أو الى اثينا ايام حكمتها أو الى رومية ايام سطوتها لكذب التاريخ في مايدعيه من زوال تلك المدنية واظن انها لا تزال مخيمة بتلك الربوع لا تؤثر فيها

عوامل الزمان ولا تزعزعها طوارق الحدثان . ولو قال اليوم احد ان مدنية الانكليز مثلاً ستزول يوماً ما حتى لو ذهب احدنا الى لندن لرآها أثراً بعد عين ولرأى وستمنسترها كهيكل عظمي في مدينة اموات لكذبناه ونسبناه للجنون لكن من تدبر نواميس الكون وقاس الحال بالماضي وحكم الماضي بالحال عرف ان ذلك من الممكنات وما أرانا اياه التاريخ اثباتاً لهذه الحقيقة يكفي لمن القى السمع وهو شهيد

لكن ماهي تلك النواميس ومالذي يحفظ المدنية ومالذي يذهبها؛ هذه اسئلة صعبة جداً لا يمكننا ان نجيب عنها كلها في هذه المدة القصيرة بل يكفي ان نقول ان حكمة التاريخ وعلم العمران افادانا ان للكون نظاماً بديعاً وسنناً محكمة استخرج الغربيون اكثرها واستعملوها في حفظ حياتهم ونحن عن ذلك لاهون مع اننا احوج اليها واستعمالها اولى لما يتلى كل يوم فوق رؤوسنا « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا » « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

فمن هذه السنن ان الامة متى فسدت آدابها واخلاقها فسد عمرانها لان الآداب والاخلاق هي الرابطة في الاجتماع البشري ومتى انحلت هذه الرابطة انحلت عراه : ولنا في المصريين والرومان اعظم شاهد فقد اجمع علماء التاريخ على ان من اعظم الاسباب في زوال دولتيهم فساد « العائلة » وسوء التربية وانتشار الفجور والعياذ بالله تعالى

ومنها وهو قريب من الاول ان ظلم الدولة مؤذن بخرابها لما له من تثبيط الهمم عن الاعمال ومتى توقف عمل الامة وحركتها تأخر عمرانها

قال العلامة ابن خلدون : « ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب

بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعى فى ذلك والعمران ووفوره ونفاق اسواقه انما هو بالاعمال ؟

ومنها ايضاً ان الامة التي تنزوى عن الامم الاخرى لاعتقادها انها اعظم منها علماً وأدباً وفضيلة ونسباً تصبح وراء تلك الامم اذ تقدم العمران يتوقف على المباراة والمسابقة ولا نجاح بدونهما فالصينيون لما اعتقدوا انهم افضل الامم نسباً لاتصالهم بالآلهة واتصال غيرهم بالشياطين وان بلادهم اخصب البلاد واجلها وان موائدهم افضل الموائد وان لا علم الا عندهم وان الحكمة لم تخط سيدهم وشعلوهم وان . . . وان . . . قطعوا علائقهم مع غيرهم احتقاراً لهم فكانت النتيجة ان بقى عمرانهم قريباً على ما كان عليه منذ الفي سنة ان لم نقل قد تاخر . فاخنى عليهم الدهر بان ارسل عليهم من اليابان واوربا ريحاً صرصراً قوضت اركان مجدهم واقتلعت جذور عزهم وما سيصيبهم اعظم وكل آت قريب

هذا قليل من كثير اوردناه برهاناً لقولنا ان للكون نظاماً بديعاً وسنناً محكمة وأهم منه بالنسبة للمشرق موضوعنا (التقليد) وقبل الخوض فيه نقول ان بعض العلماء اطلق هذه الكلمة على بعض الاعمال الخارجة عن الارادة يعملها المرء بعد ان يحركه بمثلها محرك آخر كما اذا نظرنا الى احد يتثاءب او يتلجلج فى كلامه فربما نقلده بلا شعور منا الا ان هذا النوع غير داخل فى بحثنا فاننا انما نبحث فى التقليد الارادى وتأثيره فى العمران وهو غريزي فى الانسان وعليه بنى الاجتماع البشرى فمن الحقائق التى لا مشاحة فى

حقيقتها ان الطفل مطبوع على تقليد غيره لحركاته تكون في اول امره غير مضبوطة ولا متناسبة ولكن كلما تقدم في السن نراه يجتهد ان يأتي بحركات كحركات مرضعته ووالديه فيظهر اول الضبط والتناسب في عمله .

والامم المتوحشة والتي حظها من المدنية قليل تشبه الطفل بذلك قال ماسون « بينا نرى السكاريين لا يأتون بجديد نراهم ميالين الى التقليد اكثر من الصينيين » وذكر (موات) ان الاندمانيزيين اذا سئلوا سؤالاً اعادوا لفظه كالببغاء من غير جواب . والاعجب ان الفاراتيين مع احكامهم التقليد اذا ترك لهم عمل ولوكان بسيطاً جداً خبطوا فيه خبط عشواء . والجامدون في هذه البلاد يشبهون هؤلاء المتوحشين بميلهم الى التقليد الاعمى فانهم اذا رأوا احداً يجنح بجديد من الاعمال النافعة او استخراج معنى من كتب الدين هزأوا به قائلين : من اين له ان يأتي بما لم يأت به الاقدمون من منا قادر على فهم تلك الكتب دع ذلك للمتقدمين فزمان الاجتهاد قد زال وما علينا الا التقليد !

هذا يدلنا على ان التقليد من طبيعة الانسان ويدلنا أيضاً على ان ما يشغل العقول القاصرة من الصور العقلية للحركات الخارجية أو لغيرها يسوق اصحاب هذه العقول صاغرين للاتيان بمثلها . وربما يصير ذلك بعد قليل شيئاً كالحركات الطبيعية البدنية الخارجة عن الارادة كحركات المعدة في الهضم والرئتين في التنفس والقلب في الدورة الدموية . والسبب في ذلك ان قليل التصور ساقط النتيجة لايستطيع الاجتهاد بأكثر المسائل فيستنتج انه غير قادر على الاجتهاد مطلقاً والجامد يجتنبه لما فيه من الاشتغال العقلي فهو عدو كل حركة ولو قيل « الحركة بركة »

التقليد من حيث هو انوع متعددة والذى يهمنا منها هنا نوعان التقليد فى العوائد والتقليد فى العلم وهما يشبهان السلطة الشرعية . فكما ان هذه ضرورية للعمران كذلك ذانك اذهما قانونه المعنوي وكما ان هذه السلطة الشرعية كثيراً ما يساء استعمالها فبدلاً من ان تكون مدبرة عادلة تكون مستبدة ظالمة كذلك ذانك والمقصود من سوء استعمالهما ان يصبحا عبئاً ثقيلاً على عاتق الامة وحاجزاً منيعاً دون بلوغها ما اصبح لها لازماً ضرورياً . وعلى هذا الاخير بنيت موضوعى واليه وجهت خاطرى لما له من التأثير السيء فى البلاد . والتقليد الاعمى فى العوائد يظهر عندنا كثيراً ايام الاعراس ايام يعرض جهاز العروس فى الاسواق محمولاً فى العربات او موضوعاً على [illegible] ابوابه وعد الموائد ويحشد الجموع الى [illegible] بصرف الالوف على الازياء المضرة بالصحة فعل ذلك كله لئلا يقال انه لم يقم بالعروض ولو كان كما يقول المثل « يبيع الماعون قياماً بالقانون » (استحسان)

اما مجالسنا فهى مظهر التكلف واذا نظرنا الى اكثرها ما ذا نرى ؟ تالله لا نرى الا اناساً جالسين وعلائم السآمة تلوح على وجوههم اذا تكلم احدهم فانما يتكلم ليقال عنه انه مسرور وغالباً يكونون صامتين كالأصنام لا لبكم بل لان افكارهم مصروفة الى الخزعبلات — هذا يفكر فى قلة ادب الحاضرين لأنه لما خرج من المجلس لعرض له وعاد لم يقوموا له وذاك يبحث فى سوء معاملتهم له لأنهم لم يضعوه فى صدر المجلس — هذا يقول فى نفسه ان صاحب البيت لم يستقبلنى استقبالاً لائقاً بى فياليتنى لم ادخل بيته — وذاك ينتقده انه لم يسرع بتقديم الاركيلة (الشيشة) والسيكارات

هذا يشتم الخادم فى نفسه لانه اعطى فلاناً القهوة قبله وذاك يتألم من سيده لانه لم يقل له « شرفتم » بعد ان شربها — هذا وهذا ... كل منهم يفكر فى هذه الترهات ويخوض فى هذه الجزالات حتى اننا كثيراً ما كنا نسمع من يخرج من مجالس كهذه يقسم الايمان المغلظة انه لن يحضر اجتماعا بعدها ابداً (تصفيق)

اى مقابلة بين مجلس كهذا ومجلس لايدخله الا من صفت قلوبهم وراق ودهم يعرفون معنى الصحبة ويقدرون فائدة الاجتماع حق قدرها — هذا يأتى بنكتة فيقابله الحاضرون بالسرور ، وذاك يلقى فائدة فيتلقونها بالحبور ، حدائق افكارهم لا تأتى الا بيانع الثمر ، وبحار ابحاثهم لا تجود الا بأثمن الدرر ، يعلمون ان المقصود من الاجتماع التعارف ومبادلة الافكار ، لا تناول القهوة واستعمال السيكارة (استحسان)

كلٌ منا ذاق لذة ما نسميه ساعات « الصفا » وود لو تكون كل ايامه مثلها واحس بمجالس الكلف ومالها من الاضرار فطنطنة عود يسمعها المرء وهو مار فى الشارع ربما تفوق لذتها لذة ما كان يحضره من المجالس الموسيقية ويصرف دراهمه لسماعها والسبب فى ذلك ماقال المستر هربرت سبنسر وهو انه كلما ازداد التكلف المحيط بالاجتماعات تنقص السرور الحاصل منها لانه لا يمكن القيام بواجباتها الاساسية كلها فكيف بالتكلفات الزائدة المضرة !

وما قيل عن المجالس يقال عن الولائم ويزيد فى التفتق هنا امر المأكول . اعرف رجلاً كان يحب ان يدعو صديقاً له ولكن منعه من ذلك انه لايقدر ان يقدم له اربعة وعشرين نوعاً من المأكول . والاعجب

انا صرنا بالتكاف المضر والتقليد الاعمى اذا اردنا ان ندعو صديقاً لنا دعونا معه كل من نريد ان نوفيه ما له علينا من يد كدعوة ماضية او قضاء مصلحة ولو لم يكن بينهما مودة . وهذا نتيجة حالتنا الحاضرة لان الكلفة توجب علينا ان يكون المدعوون جماً كي يخف المصرف ولو لم يحصل المقصود . (استحسان)

ولو اردنا ان نعدد ما يجرى على المائدة وكيف ان احد المدعوين اذا شبع لا يقدر ان يقوم حتى يشبع البقية لئلا يقوموا معه وهم جياع لطال بنا الكلام وأدى الى غير ما كنا نتوخاه من الاختصار . ولهذه المجالس والدعوات اضرار كثيرة لا ينبغي ان نتركها كلها :

منها الاسراف الذي يؤدي الى الخراب فالرجل المتوسط الحال اذا اراد ان يقوم بواجبات الاجتماعات غير ناظر الا الى احسن بقعة من البلد ولم يضع فيه الا اثمن الاثاث ولم يلبس الا اخر زي ولم . . . ولم . . . يصبح وبساطه الثرى فتحز الدموع في جلباب خده ولكن لا ينفعه البكاء

ومنها تخفيف المعاشرة الصحيحة التي هي ضرورية للعمران لان من اراد ان يمد رجليه على قدر لحافه ينبغي له ان يقل من الاجتماعات ما امكن والا يصبح معدماً كما قدمنا . ومنها ان هذه الحالة توجب للذين لا يتحملون تكاليفها ان يميلوا الى بعض العوائد المضرة كالجلوس في (القهاوى) وصرف الاوقات في لعب الورق والبليارد لان المرء اذا فقد شيئاً يسره لا بد له من شيء يقوم مقامه

وما قيل عن الاعراس والمجالس والولائم يقال عن الازياء الا ان الوقت لا يساعدنا ان نبحث فيها لان عندنا ما هو اهم منها وهو التقليد

فى العلم .

الباحث فى علم الاستقراء يرى ان من اعظم الاسباب التى تمنع من تصحيح الافكار التقليد فى العلم . قام ارسطو فى القرن الرابع قبل المسيح وأسس فلسفة بناها على ما بلغ اليه من العلم ثم مضت بعد ذلك مئات من السنين والناس تحذو أثره حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل فلم يأتوا بجديد بل ربما تأخروا عنه حتى ظهرت الامة العربية للوجود وقام اساطينها ينتقدون هذه الحالة وفى مقدمتهم الحكيم الفارابى يبين لنا ان كون ارسطو شيخ الفلسفة لا يوجب علينا ان نسلم كلامه تسليما اعمى بل ينبغى ان نبحث فيه فما وافق منه العقل قبلناه وما خالفه نبذناه ، وما كادت تنتشر امثال هذه الافكار بين الامة حتى كشفت الحكمة الشرقية جلبابها ، وبرزت مخدرات العربية من حجابها ، ولكن ما اصابنا مما يطول شرحه فانتقضت الاحوال واصبح سوق العلم عندنا كاسداً وما لنا اليوم الا ان نقول :

هل الدهر الا ليلة ونهارها والا طلوع الشمس ثم غيارها

وكان الغربيون رأوا فضل العلم عند الشرقيين فاخذوا يجدون السير فى طلبه لكنهم لما حصلوا على بعض العلوم واكثرها لارسطو لم يخرجوا عن نطاقها بل ربما كانوا يمسخون اكثرها وظهور (السكولمن) ومباحثهم العقيمة كقولهم : كم عدد الملائكة الذين يمكن ان يرقموا على رأس ابرة واحدة ؛ تشهد لما قدمناه . وهكذا بقى الحال عندهم تقليداً أعمى لرجل لا يفهمون جل كلامه حتى قام (فرانسيز بيكون) فى اواخر القرن السادس عشر للميلاد وبين فى طريقته الجديدة كمن سبقه من حكماء العرب انه ينبغى لنا ان لا نأخذ

قولاً الا بعد البحث فيه . فكانت نتيجة اعماله ان اظهر الغربيون فى ثلاثة قرون من آثار العمران ما لم يسبقهم اليه أحد . نعم لا ننكر انه حصل بعد ذلك شيء من التقليد المضر كرفض الانكليز تطعيم الجدرى لما اخترعه جنر لاعتقادهم انه يخالف ارادة البارى تعالى الا اننا نرى حكومتهم بعيد ذلك كافأته بمقدار ثلاثين الف ليره

امانحن الآن فكأننا خلقنا للتقليد فانه يظهر فى عوائدنا كما قدمنا ، فى زراعتنا ، فى صناعتنا ، فى تجارتنا ، فى كل شيء حتى فى امور الاعتقاد

أذكر قصة اخبرنى اياها احد محترمى الفرنجة مثلاً للتقليد فى المشرق وهى ان احد فلاحى هذه البلاد كان اذا اراد ان يحمل البطيخ يضعه فى أحد جانبي الشريجة[1] ويضع فى الجانب الآخر حجراً للموازنة فقيل له يوماً ان يقسم البطيخ الى قسمين ويضعهما فى الجانبين بدلاً من حمل الحجر لانه يتعب الدابة بلا فائدة فشكر النصيحة للناصح ولكنه لم يقم بواجبها لان التقليد احتوى عليه فصده عن الطاعة والجهالة استحوذت عليه فصرفته عن الرشد ومر فى اليوم الثانى وقد اعاد ما تعود عليه فقيل له ما قيل اولاً فقال « هيك عاش ابى وجدى » (تصفيق)

لو بعثر من فى القبور من اجدادنا لما رأوا فى زراعتنا جديداً ولو عرضت عليهم صناعتنا لرأونا اضعناها ، واسقطنا جاهها ، ولو قام اليوم احد ليبدى رأياً او يصلح فاسداً لقال له المتعصبون : القديم على قدمه ذاك زمان قد تصرم وقد كفانا عناء البحث الاولون . » واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا او لو كان

(١) الشريجة جوالق كالخرج ينسج من سعف النخل يحمل فيه البطيخ

آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » (استحسان)

والذى يزيد فى الوهن ان شبان بلادنا الذين يتخرجون فى مدارس الاجانب او يتعلمون لغاتهم يخرجون من تقليد ويدخلون فى تقليد يصبحون واوقاتهم تصرف فى «البالوات والتياترات» واموالهم تضاع فى المقامرة وعقولهم فى المسكرات لا مقصد لهم من اللغات الاجنبية الا ان يتحاشوا بسلامها عن السلام العربى بقولهم مثلاً « بونجور » (استحسان)

فى صدورهم تلتهب نار البغضاء للآباء لانهم آباء وفى قلوبهم تغلي مراجل العداوة للقديم لانه قديم قد هزؤا بالجديد لا لانهم يبغضون التقليد بل لانهم مقلدون والاعجب انى اعرف رجلاً قرأ ترجمة دارون فما فهم منها الا انه ينكر البارى تعالى فتمسك بهذا الرأى وصمت اذنه عن سماع ما يخالفه . يا سبحان الله كيف يجوز ان يسمى هؤلاء بشراً والبشرية منهم فى نفور !! « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (تصفيق)

تالله هذه حال تترقرق لها العبرات وتقض لها المضاجع[1] وما من احد ينظر اليها الا ويستوبل عاقبتها[2] . غيرنا يجتهد كل يوم بتحسين حاله ونحن بالترهات مستمسكون . وقد ضربت لنا الامثال «فما لنا عن التذكرة معرضون »

---

(١) اقض المضجع خشن والمراد لازمه وهو عدم استطابة النوم ويقال : اقض الله فراشه واصل اقض كان فيه القضض وهو الحصى واقضه جعله فيه (٢) استوبل المكان استوخمه ولم يوافق صحته ولم ارهم استعملوه فى المعانى

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

ملخص مما املاه فى الازهر . مولانا الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

« أو كصيِّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصَّواعق حذرَ الموت والله محيطٌ بالكافرين . يكادُ البرقُ يَخطفُ أبصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلمَ عليهم قاموا ولو شاء الله لذهبَ بسمعهم وابصارهم إن الله على كل شيء قدير »

هذا هو مثل الفريق الثاني من الصنف الثالث من الناس الذى كان افراده ولا يزالون فتنة للبشر ومرضا فى الامم وحجة على الدين لأنهم بغرورهم بتقاليدهم التي اكتفوا بها من دينهم الموروث يعبثون بعقولهم ويلهون بخيالاتهم ويجنون على مشاعرهم ومداركهم فيضعفونها ، ويصارعون الفطرة الالهية فيصرعونها ، حتى يكون بعضهم كالجمادات « صم بكم عمي فهم لا يرجعون » كما تقدم فى المثل الاول . ويألف البعض الآخر الظلمة بطول التقاليد ويكون افراده فى نور البرهان كالخفافيش فى نور الشمس . ولكنهم امثل من الفريق الذى ضرب له المثل الاول لان فيهم بقية من الرجاء ورمقاً من الحياة يوجههم الى الاقتباس من نور الهداية كلما اضاءت لهم بروقها ، والمشي فى الجادة كلما استبانوا طريقها ، ولكن تحول دون ذلك ظلمات التقاليد العارضة ، وتقف فى السبيل عقبات البدع المعارضة ، ويُعدّهم لاستماع قوارع الآيات التى تنذرهم بما حرّفوا ، وصوادع الحجج

التي تبين لهم كيف انحرفوا ، لولا انهماكهم الى ترك ماصنعوا واتقوا ، وهجر ما احبوا والفوا ، وعدم المبالاة بسنة الآباء ، وقلة الاحتفال بعظمة الرؤساء ،

وبالجملة فهم يتراوحون بين الخوف والرجاء ، مذبذبين بين اهل الجحود واهل اليقين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ولا ينقطع منهم الامل ، حتى ينقطع بهم الاجل ، الا تراهم عندما يقرع اسماعهم من كتابهم ما يبين فساد سيرتهم ، والتواء طريقتهم ، كقوله تعالى في النعي على امثالهم ، وحكاية ما لم يرضه من اقوالهم ، « بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » الخ وقوله في بيان ندمهم على التقليد ، عند ما يحل بهم الوعيد « ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا » يأخذهم الزلزال ويتولاهم الاضطراب فيفزعون من ظلمتهم ويلمع في نفوسهم نور الهداية الفطرية [illegible] ثم تحيط بهم الظلمات وينقطع بهم الطريق كما المعنا آنفا . واسباب غلبة الظلمات على النور ، هي موافقة الجمهور ، والاخلاد الى الهوى ، واخذ عرض هذا الادنى ، وانتظار المغفرة ولو بما تأولوه في معنى الشفاعة ، وتمنى الربح من غير بضاعه ، « يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه . الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا مافيه » ؛ بلى هو عندهم مدروس بالاتمام ، ولكنه دارس الصوى والاعلام ، اتخذوه مهجوراً بالنسبة لمعرفة الحلال والحرام ، والحكم والاحكام ، ومستعملا لشفاء الاسقام ، والتقرب من الامراء والحكام ، ولو كان له انصار يدعون اليه ، وهداة يعتصمون به ويعولون عليه ، لتبددت الظلمات امام الانوار ، ومحت آية الليل آية النهار ،

تلك الارشادات الالهية بمنزلة المطر الذى ينزل من السماء والزلزال والاضطراب الذى اشرنا اليه بمنزلة الرعد واستبانة الصراط المستقيم الذى يلمع فى نفسه من ذلك كالبرق والعادات والتقاليد والشهوات والخوف من ذم الجماهير عند العمل بما يخالفهم كالظلمات التى تصد عن سلوك الطريق بل تعميه على طالبه وتحجبه عنه ولذلك قال تعالى فى تمثيل حال هذا الفريق « او كصيب من السماء » اي قوم نزل بهم صيب ووصفه بانه من السماء مع العلم بان الصيب لا يكون الا من السماء للاشعار بانه امر لا يملكون دفعه وليس ملاكه فى ايديهم . ومن المعهود عند بلغاء العرب التعبير عما يلم بالناس مما لا دافع له بانه نزل من السماء . ولاجرم ان تلك السوانح التى تسنح فى الافكار والالهامات الالهية لاصحاب الفطرة الزكية ، التي يكون من اثرها استشعار لمثل اليقين ، وتصميم العزيمة عليه ، هى امر وهبي واقع ، ما له من دافع ،

وقوله تعالى «فيه ظلمات ورعد وبرق» الظلمات هى ظلمة الليل وظلمة السحب وظلمة الصيب نفسه . والرعد هو الصوت المعروف الذى يسمع من السحاب عند اجتماعه احياناً والبرق هو الضوء الذى يلمع من السحاب فى الغالب وقد يلمع من الافق حيث لا سحاب . وقال مفسرنا (الجلال السيوطي) ان الرعد ملك او صوته والبرق سوطه يسوق به السحاب . كأن الملك جسم ماديّ لان الصوت المحسوس من خصائص الاجسام وكأن السحاب حمار بليد لا يسير الا اذا زجر بالصراخ الشديد والضرب المتتابع . وما ذكرناه هو الذى كان يفهمه العرب من اللفظين وهو الذى يفهمه الناس اليوم ولا يجوز صرف الالفاظ عن معانيها الا بدليل صحيح

لا سيما اذا صرفت عن معانى عالم الشهادة الذى يعرفه الواضعون والمتكلمون الى معانى من عالم الغيب لا يعلمها الا الله تعالى ومن اعلمهم الله اياها بالوحي . ولكن اكثر المفسرين ولعوا بحشو تفاسيرهم بالموضوعات التى نصّ المحدثون على كذبها كما ولعوا بحشوها بالقصص والاسرائيليات التى تلقفوها من افواه اليهود وألصقوها بالقرآن لتكون بياناً له وتفسيراً وجعلوا ذلك ملحقاً بالوحى . والحق الذى لا مرية فيه انه لا يجوز الحاق شىء بالوحى غير ما تدل عليه الفاظه واساليبه إلا ما ثبت بالوحى وعن المعصوم الذى جاء به ثبوتاً

قال تعالى : « يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » الصاعقة هى ما كان يعرفه العرب ويعرفه كل واحد وهو ما ينزل فى اثناء المطر والبرق والرعد فيصعق ما نزل به يهلك او يحدث الضرر . وما تفسيرنا للبرق والرعد والصاعقة مع كونها معروفة لكل واحد بما هو معروف لهم الا لأن المفسرين صرفوا افهامهم عن المعروف الى غيره كما حكى عن أرسطو انه سئل عن الحركة فقام ومشى وما انطقهم بالسؤال عنها على بداهتها لا لأنهم اعتادوا ان يسمعوا من الفلاسفة اقوالاً فى الامور الجلية ، تجعلها غامضة خفية ، اما حقيقة البرق والرعد والصاعقة واسباب حدوثها فليس من مباحث القرآن لانه من علم الطبيعة وحوادث الجو التى فى استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم ولا تتوقف على الوحي . وانما تذكر الظواهر الطبيعية فى القرآن لاجل الاعتبار والاستدلال واستلفات العقل الى البحث الذى يقوى به الفهم والدين . والعلم بالكون ينمو ويضعف فى الناس ويختلف باختلاف الزمان فقد كان الناس يعتقدون فى بعض الازمنة

ان الصواعق تحدث من اجسام مادية لما كانوا يشمونه فى محل نزولها من رائحة الكبريت وغيره . ورجعوا عن هذا الاعتقاد فى زمن آخر ملاحظين ان تلك الرائحة لا تكون دائماً فى محل الصاعقة . وقد ظهر فى هذا الزمان ان فى الكون سيالاً يسمونه الكهرباء من آثاره ما ترون من التلغراف والتليفون والترامواى وهذه الاضواء الساطعة فى البيوت والاسواق من غير شموع ولا زيت ولا ذبال وانما تكون باتصال سلكين دقيقين كالخيوط التى تخاط بها الثياب احدهما يحمل او يوصل السيال الكهربائى الذى يسمونه الموجب والآخر يوصل السيال المسمى بالسالب وباتصال السلكين يتولد النور من تلاقى السيالين . وكما يوصل السيال بالسلك يقطع عنه فينقطع الضوء والكهربائية موجودة فى كل شىء والبرق فى السحاب يتولد من اتصال نوعيها الموجب والسالب بقدرة الله تعالى كما يتولد على الارض بعمل الانسان وقد استنزل بعض علماء الكهربائية قبس الصاعقة من السحاب الى الارض . والصاعقة من اثر الكهربائية وهى تفريغ السحاب طائفة منها فى مكان جاذب فى الارض يجذبه . وكثيراً ما حصل الصعق لعمال التلغراف لما بين السحاب والاسلاك من الجاذبية . ومعرفتهم بالسبب الحقيقى للصواعق هداهم الى حفظ الابنية الشاهقة منها باتخاذ القضيب المعروف الذى يسمى قضيب الصاعقة . ولا مجال فى تفسير القرآن للتطويل فى المسائل الطبيعية لانها تطلب من فنونها الخاصة بها فلنعد الى بيان المثل

استحضر حال قوم مشاة فى فلاة من الارض نزل عليهم بعد ما اقبل ظلام الليل صيب من السماء قصفت رعوده ولمعت بروقه وكيف يهوون باصابعهم الى آذانهم كلما حدث قاصف من الرعد ليدفعوا شدة وقعه

بسد منافذ السمع برؤس الانامل ، وعبر عن الانامل بالاصابع هذا التعبير المجازيّ اللطيف للاشعار بشدة عنايتهم بسد آذانهم ومبالغتهم فى ادخال انامليهم فى صماخيها كأن كل واحد منهم يحاول بما دهمه من الخوف ان يغرس اصبعه كلها فى اذنه حتى لايكون للصوت منفذ الى السمع للمحذره على نفسه من الموت الزؤام ، ومماجلة الحمام ، وهذا هو الجبن الخالع ومنتهى حدود الحماقة لان سد الآذان ليس من اسباب الوقاية من اخذ الصاعقة ونزول الموت

ثم قال تعالى : «والله محيط بالكافرين» يستلفتنا فى اثناء شرح المثل وتقريره الى حال من ضرب فيهم المثل لئلا يذهلنا ما نتصوره من حال المشبه به عن حال المشبه المقصود بالذات من التصامم والهروب من سماع آيات الحق والتفرس من الموت وعيشة الراحة او تذهب بتقاليدهم التى يرون حياتهم الملية مرتبطة بها لا يفيدهم شيئا لان الله تعالى محيط بهم ومطلع على سرائرهم ، وعالم بما فى ضمائرهم ، وقادر على اخذهم انما كانوا ، وفى اى طريق سلكوا ، فلا يهربون من برهان الا ويفاجئهم برهان آخر كالغريق يدفعه موج ويتلقاه موج حتى يقذف به الى ساحل النجاة او يدفعه الى هاوية العدم ، لهذا قال : محيط بالكافرين ، ولم يقل محيط بهم

ثم بعد التنبيه والاستلفات عاد الى اتمام المثل وتفصيله فقال عز شأنه «يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا» اذا لمع البرق بشدة مفاجئا من هو فى ظلمة يؤثر فى بصره تأثيراً يكاد يخطفه والخطف هو الاخذ بسرعة ولكنه يتبين به جزءاً من الطريق فيمشى خطوات ثم يتنكر عليه الظلام ، وتستحوذ عليه المخاوف والاوهام ، فيقف

فى مكانه ، او يعود البرق الى لمعانه ، ويحاكى هذا من حال الممثل بهم انه عند ما يدعوهم الداعى الى اصل الدين . ويوضح لهم سبب ما هم من البلاء المبين ، ويتلو عليهم الآيات البينة ، ويقيم لهم الحجج القيمة ، على انهم تنكبوا الصراط السويّ ، واصيبوا بالداء الدوىّ ، يظهر لهم الحق فيعزمون على اتباعه وتسير افكارهم فى نوره بعض خطوات ولكن لا يمتدون ان تعود اليهم ظلمة التقليد وظلمة الشهوات وغيبة الاهواء فتقيد الفكر وتوقف سيره كما تقدم فى اول الكلام ، ثم تكرر فى تضاعيفه بطريق الالتفات والالمام ، ومنه انهم على سوء الحال ، وخطر المآل ، لم تنقطع منهم الآمال ، كما انقطعت من اصحاب المثل الاول الذين وصفوا بالصمم والعمى والبكم « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم » حتى لا ينجع فيهم وعظ واعظ ، ولا تفيدهم هداية هاد ، كما ذهب [illegible] فوقع اليأس من رجوعهم الى الحق ، وقوله تعالى « ولو شاء الله » الخ رجوع الى بيان حال من ضرب فيهم المثل لا من تتمة المثل وقد كنى عنهم بالضمير هنا لان المثل قد تم بعد ما ذكرهم فى قوله : والله محيط بالكافرين . بالوصف الذى اقتضى التمثيل

عقّب الاستاذ تفسير هذه الآيات بتنبيه ، ارتاع له الخامل والنبيه ، ذلك انه بيّن ان القرآن هاد ومرشد الى يوم القيامة وان معانيه شاملة وعامة فلا يعد ويوعد ويعظ ويرشد اشخاصاً مخصوصين وانما يفيط وعده ووعيده وتبشيره وانذاره بالعقائد والاخلاق والعادات والاعمال التى توجد فى الامم والشعوب فلا يغترنّ أحد بقول بعض المفسرين ان هذه الآيات نزلت فى المنافقين الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم فيتوهم انها لا تتناوله وان كانت منطبقة عليه لانه لم يتخذ القرآن اماماً وهادياً ولم يستعمل عقله ومشاعره فيما خلقت له بل اكتفى عن ذلك بتقليد آبائه ومعاصريه ، في كل ما هم فيه ، — وقد طالت هذه النبذة وسنتم بسائر معاني التنبيه في النبذة الآتية عند بيان وجه الاتصال بين هذه الآيات وما بعدها ان شاء الله تعالى

باب التربية والتعليم

« تعليم معاهد الأرض للأطفال ، وتمرين أيديهم على الأعمال[1] »

(المكتوب ٣٠) من جيلانه الى اراسمس في ١٣ فبراير — ١٨٥

احب ان أصف لك الشاب اميل ... فقد عرفتها في الرسم الذى ارسلته اليك منتزعاً بآلة داجير التصويرية (الفوتغرافية) وأما سيرته وأحواله فهي التي اريد أن احدثك عنها فاقول :

ارى له جراءة على السير والتجوال لا توجد في أترابه ففيه ما أظنك تسميه بغريزة خرت الارض[2] وقد بلغ تمكن هذه الغريزة من نفسه مبلغاً ما أراني فيه قادرة على اضلاله ولا هو بمحتاج في الاهتداء اذا انا أضللته الى القاء الحصى وفتات الخبز في الطرق لتكون كالصوى والاعلام[3] لأنه يهتدي بنفسه ولا يلبث ان يميز مهب الريح وحركة السحاب الجهة

(١) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر (٢) خرت الأرض (كتصر) عرفها ولم تخف عليه طرقها ولعل لفظ (الخارطة) او الخريطة مأخوذ منها (٣) تشير الى اسطورة الاسبيع التي تقدمت في المكتوب ٢٥ راجع (جزء ٣١ مجلد ٣)

التي ينبغي ان يؤمها . وأرى ان الذى اظهر هذا الاستعداد فيه هو ما استفاده بالعمل من صحبة (فويدون) فانت تعلم ان فى عينى هذا الزنجي ورأسه بيت ابرة مغناطيسية

لا انكر ان مثل هذه العلوم من الاوليات وذلك يؤكد وجوب ان يتعلمها الاطفال وكلامي فى ذلك عن خبرة وتجربة فانى تربيت فى مدرسة داخلية كان التلميذات فيها غافلات عما وراء المدرسة من شؤن الحياة ومتاعبها . وكنت بعد ذلك اذا خرجت الى المزارع والرياض لا اعرف الشمال من الجنوب ولا اميز بين الشرق والغرب واخجل ذلك الخجل الضار ان اسألك عنها خشية ظهورك على جهلي . ولو كان هذا الجهل خاصاً بمثلي لسكان الحطب سهلاً واراني صادقة اذا قلت ان كثيراً من اهل النهاية في العلم ليسوا باوسع مني في بعض نواحي معرفة الكرة الارضية العملية. لا ادرى هل كتب على « اميل » ان يكون سائحاً وجواب آفاق ولكني أرى ان الناس محتاجون فى جميع اطوار الحياة الى معرفة الجهات والامكنة احتياجاً تختلف درجاته فبعضهم احوج الى التوسع فيها من بعض وان صدق النظر اذا تعزز بالتجارب كان للانسان ركناً من اركان الحرية

يأكل « اميل » على المائدة كالانكليز اعنى انه يأخذ السكين بيده اليمنى والشوكة باليسرى يأكل بها وقد انكرت هذه العادة اولاً ثم تبين لي انها اسهل فان استعمال كلتا اليدين معاً يمكن من القطع والتناول فضل تمكين فالانكليز عسر (جمع أعسر) فى الاكل دون الاعمال الصناعية ولست ادرى ماهو عذرنا فى ترك تمرين عضو من اعضائنا على العمل قبل كانت اعضاؤنا زائدة عما نحتاج اليه فى استعمار الارض ومقاومة مايعترضنا

من العقبات المادية في سبيل الحياة فتستغنى عن بعضها وتتغلب :

قرأت في ترجمة حياة (جمس وات) المهندس الانكليزي الشهير انه كان يستعمل في طفوليته ادوات والده النجار في اختراع لعب لنفسه او تحويلها من شكل الى شكل . ويقال ان هذا التمرن ساعده كثيراً في تدريب يده على الصناعة وقوّى ما كان في نفسه من الاستعداد لعلم الميكانيكا حتى صار ملكة راسخة فيه . ولا اطمع ان يكون « اميل » مخترعاً لآلات جديدة ولكنى أرغب ان يكون ماهراً في تحريك اصابعه ولهذا لا امنعه من تكسير لعبه ليرى ما في جوفها — كما يقول — اذا تعهد لي بارجاعها الى اصلها



على انى لاحظت امراً احب ان اعرضه عليك وهو ان لعب الاطفال تكون مناسبة لطبيعة البلاد التي تنشأ فيه . فاهل السواحل يلعب اطفالهم بما تحدثه في نفوسهم صناعة الملاحة . وقد اجاب قويدون الذى هو كالفرد في الخفة والمهارة رغبة « اميل » ورفيقيه فصنع لهم بسكينه مركباً شراعياً صغيراً انزلوه في خليج الجبل باحتفال حافل فكان ذلك قدوة لهم في هذه الصناعة البحرية حتى انهم انشأوا لهم اسطولاً مؤلفاً من طرادات وسفن من ذوات السارية ومن ذوات السارتين وقوارب وزوارق وبعض هذه السفن مسلح بمدفع من الخشب فكأن لسان حالهم يقول : ها نحن اولاء مستعدون ، فليأتنا المهاجمون ، وكنت اذا سئلت عن قيمة هذه الاشياء السابحة على وجه الماء اظهر ترجيح ما يصنعه الاطفال من سفن اللعب على ما يبتاع من التجار من نوعها وان كان احسن منها صنعاً

« القصص والاساطير ، وتربية خيال الصغير »

يحب «اميل» العمل ويميل الى سماع القصص كما هو المعهود من مثله انى موافقتك فى انتقاد توسع الناس بمخاطبة الاطفال بما يعلو ادراكهم وافهامهم وهذا من آفات التربية التى يجب تجنبها وما اعظم الفوائد والمزايا التي يستفيدها الاطفال من تعليم امهاتهم الشفاهي اذا تجنبها. أحدث عندى هذا الفكر النظر في ما يؤثر عن جميع الامم قبل اختراع الكتابة والتصنيف مما كان الاعتماد فى حفظه على الذاكرة . قرأت فى كتاب لا أذكر اسمه الآن ان بعض اليونانيين كانوا يعارضون قدموس[1] فى وضع الحروف الهجائية لهم محتجين بان اعتياد الناس على اثبات حوادث التاريخ فى الالواح [illegible] وكانت هذه المعارضة وجيهة وهي تشبه المعارضات التي توجه حتى الآن الى كل ضرب من ضروب الارتقاء، حيث ينتقل الانسان من شيء الى آخر

نرى الاطفال قبل تعلم القراءة والكتابة ينتحلون كثيراً من الافكار والآراء فاهم شيء يبتدىء به المربى هو النظر في اختيار أمثل ما يودعه فى نفوسهم من المعارف ثم فى اختيار أمثل الطرق لايصال ذلك الى أذهانهم الخالية ونقشه فى الواح نفوسهم الصقيلة وكثيراً ما خرجت مع أميل عن اساليب لغتي وقواعدها لاجل ذلك وما كان أشد اغتباطى وسرورى عندما كنت أراه يلتفت اليّ لتكلمي بلغته . والنجاح فى هذا يتوقف على اخلاص القلب ونسيان النفس وهذان الامران انما يحصلان بالرياضة والمزاولة

(١) قدموس هو الرجل الفينيقي الذى انشأ مدينة طيبه ونقل الحروف الهجائية من مصر الى بلاد اليونان

على ما أرى

من الثابت المقرر ان للاطفال شعراً خاصاً تعرفه الامهات حق المعرفة ولكننا نحكم فيه شعرنا وخيالنا فكيف السبيل الى حفظ هذه القوة الشعرية وبقاء غضاضتها بحيث لا يسقط عبثنا بها زهرها ولا يذويها ويذهب بنضرتها لإحلال شعرنا محلها

الدنيا مملوءة بالحكايات التي يدعى انها وضعت للاطفال وامثالها حكايات (بروك) وأرى ان ما فيها من الصنعة والحذلقة يخرج بها عن مهد الطفولية الى مستوى الكهول ومرتبة الشيوخ . وافعل الحكايات فى استمالة اميل وتحريك رغبته وميله ليس مما يمهد فى الشعور العام والحس المشترك أعنى ما يحمل فى أذهان البالغين دون الولدان الذين فى السادسة او السابعة فالحكايات الخرافية القديمة جداً التي لم يجفف الدرس والصنعة ما فيها من معانى الشعر الفطرية هي التي تقع من نفسه موقع القبول فى مثل هذا السن

فمن الحكايات المتداولة فى البلد الذى نسكنه ما فيه ذكر المردة والاغوال والجنيات والتنابيل (القصار جداً) وهو ما يذهب بنوم الاطفال فى ليالى الشتاء ويجذبهم الى السمار لسماع تلك القصص محدقين بأبصارهم الى السامر . ولى ان اعتقد ان هذه الحكايات هي مختزلة من اشعار وقصائد قديمة ضاع اصلها وتناقلت الناس ما بقى من معانيها مرضع عن مرضع ولم عن لم حتى انتهت الينا فى شكل يخالف شكلها الاول قليلاً او كثيراً

زعم عالم من كرنوال الانقيه احياناً فى منزل صديقنا الدكتور ان لديه وسيلة يتى بأن توصل الى معرفة اصل هذه الخرافات ومناشئه . تلك

الحكايات وما فهمته منه من هذه الوسيلة هو انه يستعين على تلك المعرفة من حيث هو عالم اري بلحن تلك الحكايات وفحواها من حيث مشابهتها لما يخترعه من الحكايات وعدم ذلك فهو يرى انه كلما كان معنى الحكاية بعيداً عن تصورنا واختراعنا تكون اوغل في القدم . فاذا بحثنا في شأن الجنيات في هذه الحكايات نرى ان الجنيات في الاعصر القديمة توصف بانها مجردات منزوية عن الناس ، شرسة صعبة المراس ، وقوى طبيعية وقعت الى مرتبة الآلهة والبست شعار الدين . ثم ما زالت تقرب من الناس وتتشكل بشكل الانسان قرناً بعد قرن وتأنس به حتى صارت اناثاً يتزوج بها الرجال . ومما يروونه في هذا ان رجلاً تزوج بجنية وعاشا معاً عمراً طويلاً في كوخ وقد كان من طول انسه بها ان نسي كونها جنية الا انها فرت ذات ليلة متسلقة بعض اشعة القمر ، كذلك الحال في المردة فان هذه

الكائنات الوحشية المشوهة كانت تعرف في الزمن القديم بانها مثار الوساوس المخيفة والهواجس المفزعة وبكرور الزمان ومرور الايام اقتربت من الانسان في احوال معيشته وضعف سلطانها في نفسه وتأثيرها في وهمه وخياله وتحول الرعب الذي كان مقروناً بذكرها وتصورها الى الضحك والسخرية وهكذا تنتهي دولة الخرافات وتزول

لاريب انك واقف على قصة يعقوب مواثب المردة وقاتلهم الذي كان يعيش في كورنوال على ما روى في الاساطير « فأميل » يحب سماع حديثي عن غزوات هذا الشاب الشجاع ابن احد الزراعين . واشهر وقائعه التي سار بخبرها الركبان ما روي انها وقعت في جبل مخائيل قديس انكلترا وهو صخرة تكاد تكون بازاء منزلنا وكان المارد الذي يخطف

الناس والبهائم قد تبوأها منزلاً واتخذها مثوى له . وقد كان اعظم خدمة قام بها حماة فى عصور الهمجية — ان لم اكن واهمة — هى مقاتلهم وفتكهم بالسلة والوحوش الضارية فهم بذلك قد طهروا الارض من العتاة والبغاة الذين كانوا يعيثون فيها فساداً وبهذا الاعتبار نرى اليونانيين قد انصفوا برفع مكانة هرقل وتبزيه⁽¹⁾ وجعلهم من انصاف الآلهة . وكذلك فعل يعقوب بالمارد فانه هاجم المارد فى مغارته وانتصر على تلك القوة الوحشية الفاتكة بالحيلة فكان جديراً بأن يكون خلفاً لأولئك الشجعان الاقدمين

ان لهذه الخرافات لفضلاً ولو ألحقت من التعليم الشفاهى لاسيما كثيراً فان امام الطفل فى هذا العصر الذى تركه حقائق زمناً طويلاً يحتاج فيه التحقق باخلاقه وعواطفه الحقيقية فحتم ان تعمر حياة الطفل القصير الامد الذى تتاح فيه نفسه للاحاديث الخرافية وتتأثر بغرائب الاساطير لتودع فيها أنواع الوجدان الاعلى ، وتبعثها على حب الاعمال الجليلة والسجايا الفضلى ، فان طبع الطفل يتكون وينشأ فى قوالب المثل التى تكون لها مكانة فى نفسه عند ما يلقى اليه خبرها وتمثل له صورها . نعم ان « اميل » لن يكون قاتل مردة — واين المردة اليوم — ولكن قصارى ماقى قص هذه القصص عليه من الفائدة انها تهز نفسه وتحرك أريحيته بما فيها من

(١) هرقل او هرقول اليونانى هو كما فى اساطير اليونان الخرافية (ميثولوجيا) ابن جوبتير (المشترى) كبير الآلهة من زوجه ألكمين وأعظم الشجعان الذين كانوا يقتلون التنانين والضوارى والافاعى العظيمة . وتبزيه من شجعان اليونان المشهورين وهو ابن (ايجه) ملك أثينا قتل مينوتور وهو بحسب خرافاتهم وحش نصفه آدمى ونصفه ثور ، واشتهر فى وقائع عصر الشجعان

ذكر غزوات عصر الابطال ولو كنت اجد منه انقباضاً وشكاً عند ما اقص عليه تلك الوقائع التي ابالغ عن قصد وتعمد في اخلاص ابطالها وعلو نفوسهم واما نتيهم لساءني ذلك واحزنني

نحن في شؤن الحياة لا نزال دون غايات الكمال المبتغاة فيجب علينا — ان لم اكن واهمة — ان نعجب بما يروى عن اولئك الابطال من فضيلة الشجاعة وان بعد احتمال وقوعها حتى لا نكون في اسفل دركات الجبن .

في نفسي امران في اشد الحذر من الافضاء به الى « اميل » لسببين احدهما انه لا يفهمه والثاني انه يذهب بما لهذه الخرافات من الشأن الرفيع عنده . وهو ان تلك المردة التي هي موضوع تلك الاساطير ليست سوى اشخاص هذه الصخور الكثيرة في كورنواي . الحق اقول ان هذه الاجرام الصوانية الهائلة تحتمل في كل يوم اقصى ما تقدر في هذا العالم على كل قوة ذات مقاومة وحشية ان تحتمله . ذلك ان نابلا كان يتسلق تلك الصخور العظيمة المحيطة بذلك المكان الذي يسمونه نهاية الارض **Land's End** وينقر بأداة من الحديد نقرة يضع فيها قرطاساً من البارود ذا فتيلة ويشعل الفتيلة ويكر راجعاً فيكون الانفجار ويتصدع الصخر وتتزلزل الارض ويضطرب البحر . ويناطون في الاساطير مثل هذا التزلزل والاضطراب بسقوط المارد

يتراءى لي ان محو الخيالات من اذهان الاطفال لا يفيد المربين شيئاً فاين تلك الحكايات والقصص الغريبة التي كان يفتن بها الاطفال لما فيها من السذاجة والغرابة ؛ لقد ضاعت ونسيت وصار عصرنا هذا وهو عصر القصص والروايات الخيالية أبعد الاعصر عن القصص والاساطير

المذكورة فان القصص التى ندونها فى هذا العصر لا تمثل الا الوقائع المعهود قياس نظيرها لاننا لما كنا من اهل الحقائق المتمدين على الوقائع الثابتة ومن سكان المدن الآهلة والحواضر البعيدة عن الوهم والتخيل كانت عنايتنا فى التربية محصورة فى ايداع جميع اذواقنا ورغائبنا فى نفوس اولادنا . اقول ما قلت لا لأنى ادعى الحكمة والفلسفة وأعوذ بالله من دعوى الاشراف على الغيب والحكم على الاستقبال ولكنى اسأل نفسى عن حال هؤلاء الاطفال الذين صاروا شيوخاً وهم فى سن اللبان وقد قطعنا عليهم طريق الوهم والخيال فنحن نعلمهم قيمة الفضة وهم فى طور يجهلون فيه الحسن المطلق والجمال الذاتى . ومن العبث ان نخال ان ما تمدنه لنا الاساطير من الاخلاق الفاضلة والمزايا النافعة لا أثر له فى الوجود فان عدم وجود اولئك الرجال والنساء الموصوفين بما ذكر من الاخلاق والمزايا فى انديتنا وسمارنا وعدم تجوالهم فى اسواقنا وشوارعنا يجب ان يكون من الاسباب التى تحملنا على عدم اخراجهم وطردهم من جنة الطفولية حيث يمتع الاطفال فى عالم التصور والخيال فاستحلف القائمين بأمر التربية بالله تعالى ان يدعوا لهم متبوءاً فى البيوت .

واما انت ياعوالم الخيال ، من الجنيات والابطال ، التى هززت قلوبنا فى طور الطفولية ، وحركت نفوسنا للخيرات والفضائل النفسية ، بما كشفت من النقاب عن وجه الكمال ، وابرزت من مظاهر الجمال والجلال ، لا تزولى ولا تحتجبي عنا فى جو هذا العصر الوخيم ، المثقل بضروب الحسبان والهموم ، الذى شغلت اهله الاغراض المادية ، وطلب المنافع الجسمانية ، فاننا نصغر ونحقر اذا صرفنا اولادنا عن الاعتقاد بعظمتك الخيالية ، التى علمتنا الحسن

الذاتي والعظمة الحقيقية

أرى ان من الخطا ان تعاب هذه الخرافات ببعدها عن الحقيقة فان هذا وان كان مذموماً بالنسبة الينا الا انه يحمد بالنسبة الى طور آخر من اطوار العمر . فما يظهر لنا بعيداً عن الحقيقة حقيق فى نظر الطفل . اخذت هذا الحكم من طبع « اميل » الذى ابتهج بأنى سيرته واختبرته فهو على عدم سماعه شيئاً من الدين متدين بطريقة خاصة به وله قوة عجيبة فى ابتداع الصور الخيالية التى يمتاز بها الانسان فى طور الطفولية وتضعف فى سائر اطواره بالتدريج فانه يرى وراء كل حادثة كونية كالمطر والريح وغروب الشمس قوة حية بل ذاتاً مشخصة فقد فر منذ أيام من البستان مذعوراً لانه رأى سحاباً مركوماً فى السماء باشكال غريبة وقال لى انه رأى فيه رأس شيخ ذى لحية بيضاء أليس مثل هذا الشعور الناشىء من الخوف خوف الاجلال والاعظام الفضل فى ادراك معنى الالوهية الاول الذى فهمه الانسان ؟

﴿ احتفال مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر ﴾

احتفل بامتحان تلامذة مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فى مصر فى مساء يوم الجمعة الماضى احتفالا شائقاً رأسه فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ورئيس الجمعية وحضره كثيرون من العلماء والوجهاء . وافتتح الاحتفال بتلاوة احد التلامذة آيات من القرآن الكريم بالتجويد والترتيل . ثم انشد طائفة من التلامذة انشودة نوهوا فيها بفضل رجال الجمعية ورحبوا بالحاضرين وختموها بالدعاء لمولانا السلطان والجناب

العالى الخديوى . ثم وقف تلميذ وتلا خطبة وجيزة بين فيها الغرض من التربية والتعليم فى مدارس هذه الجمعية وهو تكميل النفس والاستعداد للدخول فى ابواب المعيشة وتفضيل الصناعة والحرف على غيرها وتوجيه النفس لترقية كل تلميذ صناعة والده وحرفته بما يكتسبه من العلم الذى كان والده محروماً منه — ومعلوم ان جميع هؤلاء التلامذة من اولاد الفقراء المحترفين تعلمهم الجمعية وتربيهم على نفقتها . ثم وقف تلميذ آخر فاعطى كتاب « الدروس الحكمية » ففتحه وقرأ منه نبذة جاءت امامه بالعرض من الدرس الذى يبين حاجة البشر الى الدين فاحسن القراءة وبين معانيها على وجه الصواب . فناقشه الاستاذ الرئيس فى الفهم وسأله عن معنى الآية التى افتتح بها الدرس فاحسن فى الاجابة والتفسير حتى انه فسر ما لم يذكر فى الكتاب من تتمة الآية الكريمة . ثم تكلم تلميذ آخر فى حكم فريضة الزكاة وفوائدها للمزكي وللفقراء وللهيئة الاجتماعية ومن ذلك انها العلاج الواقي من داء الفوضى والاشتراك وختم كلامه بقوله « لا فوضوية فى الاسلام » فصفق له الحاضرون كما صفقوا لمن قبله ولمن بعده . ثم امتحن تلميذ آخر باعراب جملة فيها تقدير دقيق فاجاد فى الاعراب ، وانبأ عن فهم يخالف الصواب ، وامتحن آخرون فى الحساب وفى الجغرافيا والرسم حيث رسم احدهم خارطة اوربا وبين ممالكها وعواصمها . وسأله الاستاذ الرئيس هل خطر لك ان تسافر الى عاصمة من هذه العواصم فقال نعم تمنيت ان ازور باريس فسأله ان يبين خطة السفر من القاهرة الى باريس فبينها احسن بيان . وعرض بعض التلامذة على الحاضرين نموذجات من خطوطهم ورسومهم وهى فى غاية الاتقان والجودة . وخطب آخرون من التلامذة

فى بيان فوائد التربية والتعليم وفوائد الجمعيات الخيرية . ثم ختم الامتحان كما بدئ بترتيل احد التلامذة آيات من الكتاب العزيز

وبعد هذا وقف مولانا الاستاذ رئيس الجمعية وشكر للحاضرين عنايتهم بحضور الاحتفال بامتحان اولاد الفقراء ومشاهدة اثر تربيتهم ثم تكلم فى بيان غرض الجمعية من تربية هؤلاء الاطفال الفقراء وهو تهذيب نفوسهم ومساعدتهم كل واحد منهم على احياء صناعة والده وترقيتها الا أن يرى نفسه مستعداً لصناعة اعلى منها وأرقى وذكر ان الجمعية تساعد بالمال من تخرج من مدارسها ويشتغل بصناعة والده مدة سنة وانها تعلم التلامذة بانهم لوالديهم ولأمتهم الأقربين ثم للأمة وتعليمهم احترام آبائهم وامهاتهم وتنزع من نفوسهم الميل الى وظائف الحكومة . وههنا انتقل الاستاذ لبيان منفعة التربية فى سائر المدارس وحالة الذين يتعلمون فيها وفى اوربا وكيف يكون الانسان بعد التعليم مشغولا بالامانى الباطلة التي لاتدرك محتقراً لوالديه واهله وللناس يقضى معظم اوقاته فى الملاهي ومعاهد البطالة واللهو فى الغالب . ثم بين وجه حاجة الامة الى تربية الطبقات الدنيا وانها لا ترتقى ولا تسعد الا بذلك لانهم هم الذين يقومون بمعظم الشؤون واكثر الحرف التى لايستغنى عنها الخواص ولا يهنأ لهم عيش مادام اصحابها فاسدى التربية فاقدى الآداب . وقال ان جراثيم الخير التي تلقيها مدارس الجمعية فى نفوس التلامذة لابد ان تنمو وتغلب على جراثيم الشر التى اصيبوا بها من البيئة (الوسط) التى يعيشون فيها لان الحق دائما يغلب الباطل والخير يصرع الشر الا اذا اضمحل انصار الحق ودعاة الخير وضاعوا فى كثرة الاشرار . قال : وربما ينازعنى بعض السامعين فى هذه القاعدة مستدلا

باستحواذ الشرور على الناس واكتفى بان اجيب هؤلاء بكلمة واحدة وهي اتونى بعشرة من دعاة الخير في القوم الذين تحكمون بفسادهم وتغلب جراثيم الشر فيهم على جراثيم الخير

ثم ختم خطابه بتوزيع الجوائز على نجباء التلامذة مبيناً ان لها مصدرين احدهما ان اللجنة التي تألفت لايجاد اثر يخلد ذكر المرحوم على باشا مبارك لخدمته المعارف كانت ارتأت ان تقيم له تمثالاً في نظارة المعارف ثم رجعت عن هذا الرأى لان معظم الامة المصرية يعد التماثيل اهانة لا تكريماً ويسمون التمثال « الصورة المسخوطة » اي الممسوخة وترجح للجنة ان تعطي هذه الدراهم للجمعية الخيرية تستغلها وتعمل غلتها في كل سنة جوائز للنابغين من تلامذة مدارس الجمعية الخيرية بشرط ان يؤلف احد اعضاء الجمعية كتاباً في تاريخ على باشا مبارك ويوزع مع الجوائز ايضاً ويكون هذا احسن ذكرى واثر . قال : ولما تأخر تأليف هذا الكتاب في هذه السنة رأينا من التعجيل بالبر ان توزع الجوائز وفي العام القابل يوزع الكتاب ان شاء الله تعالى وهذا ما اصاب مدرسة القاهرة من هذه الجائزة يعطى لانبغ التلامذة في العربية . واما المصدر الثاني فهو ان الاستاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش تبرع بعشرة جنيهات للجمعية شكراً لله تعالى على شفائه من مرض ألم به وجعلها دائمة في كل سنة . ثم انفض الجمع وخرج القوم مسرورين بما شاهدوه من النجابة والنجاح الذى كان فوق ما يؤملون

منذ ثلاثة اشهر ونيف صدر عفو الخديو المعظم عن حضرة الفاضل الشيخ ابراهيم حرب الطرابلسي ورفيقيه الذين حكم عليهم في حادثة الازهر المشهورة وقروا .

الاخبار التاريخية

سكة الحديد الحجازية

قد شرع فى مد قضبان الحديد بعد تسوية الارض فى القسم الاول من هذه السكة التى هى اعظم مآثر مولانا الخليفة والسلطان الاعظم ايده الله تعالى وسدده . ويبتدئ هذا القسم من (المزيريب) حيث منتهى السكة الحديدية بين بيروت والشام وطوله عشرون كيلو متر . وقد احتفل بذلك فى المزيريب بحضور صاحب الدولة ناظم باشا والى سوريا وصاحب السعادة محمد فوزى باشا مدير ادارة لجنة السكة الحديدية فى ولاية سوريا واحد اعضائها ورائف باشا رئيس اركان الحرب فى الفيلق السلطانى الخامس وذلك فى يوم الخميس ثامن ربيع الاول الانور وهو اليوم الذى ولد فيه النبى الاعظم صلى الله عليه وسلم على القول الصحيح فياله من فال حسن يبشر بالانعام بالخير ان شاء الله تعالى

رزء علمى دينى

فى يوم الخميس ثالث ربيع الاول توفى الى رحمة الله تعالى احد اكابر علماء الازهر الشريف الاستاذ الشيخ محمد راضى الكبير مفتى ديوان الاوقاف وشيخ رواق البحاروة فى الازهر عن نحو خمسين سنة قضاها فى التعلم ثم التعليم وخدمة الحكومة

كان الفقيد مالكى المذهب ثم تمذهب بمذهب الحنفية واتقن فقههم حتى عين مفتياً لمديرية الدقهلية ثم مفتياً لديوان الاوقاف . ومن مزاياه التى لا يشاركه فيها الا القليل انه كان لايخاف فى الحق لومة لائم فيصرح

باعتقاده وان خالف العامة وانكرته الجماهير وله واقعة مشهورة في ذلك وهو انه صرح بانكار ما يأتيه العامة من المنكرات عند قبور الصالحين مما هو مشهور وافضنا فيه مراراً فاتخذ ذلك بعض الحسدة والجهال وسيلة للخوض فيه والسعاية للحكومة وسموه « وهابياً » وهم لا يدرون ما هو الوهابي وانما هي الفاظ يرمونها من غير فهم ولا عقل فعزلته الحكومة بناء على هذه السعاية ثم تبين لها انه ما قال الا الحق الذي هو مذهب السلف ولباب الدين فرقاه الجناب الخديوي اعزه الله تعالى وجعله مفتياً للاوقاف وما زال مواظباً على التدريس وافادة الطلاب في الجامع الازهر حتى أصيب بالمرض الذي انتهى بوفاته وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق بفضله تغمده الله برحمته [illegible]

﴿ بيان الاغلاط في الجزء الثامن ثم تصحيحها ﴾

سطر	صفحه	خطأ	صواب
١٤	٢٨٥	قائل	قائلا
١	٢٩٠	آمنا	آمنا به
١٦	٢٩٦	خلق	خلق الله
١٩	٣٠٢	الا	الى
١٣	٣٠٤	سنانه	خسانه
١٣و١٤	٣٠٤	نحو ذراعاً وربع	ذراعاً وربعاً مربعاً
١٤	٣٠٥	انه	انهم
١١	٣١٧	كانا	كان
٣	٣١٨	مختارون	مختارين

هذا وان في السطر ١٣ و ١٤ جملة زائدة وهي « ولو كان مائعاً نجساً » نبهنا عليها بعض الفضلاء واصاب في قوله انا اغتررنا بقول الرملي « ولو نجساً » لان كتابه هو آخر ما قرأناه درساً وان الصواب تأويله بتنجس

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ الواسطة والزيارة . أو ابن تيمية والسبكي ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض المشايخ المغرمين بحب الشهرة سعى بنشر رسائل في الواسطة الشخصية بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده وكتب لذلك مقدمة جاء فيها بالتهافت والتناقض كأنه لا يفهم ما يكتب او يتوهم ان الناس لايفهمون

اذا كان يعتقد ما قاله في اول المقدمة من ان نجاة الارواح انما هي في اتباع الكتاب و[illegible] ادنى ملاحظة او اعتراض واسترسال مع العقل فلماذا الصق بالدين ما لم يرد في كتاب ولا سنة ولا قال به احد من الصحابة ولا ائمة التابعين وتابعيهم من المجتهدين وانما هي نزغات عقلية نسبت الى بعض العلماء لاجل ترويجها على ان من نسبت اليهم ليسوا بمعصومين ولاهم ممن يجب اتباعهم لذاتهم وانما توزن اقوالهم وافعالهم بميزان الشرع فما رجح منها قبل وما كان مرجوحاً ترك ورفض . هل جاء في كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أمر ببناء القبور وتشريفها واتخاذ القباب عليها وجعلها في المساجد والصلاة اليها وطواف الناس بها كما يطوفون بالكعبة أم ورد النهي الصريح عن ذلك بما لا يحتمل التأويل ? هل نقل في حديث صحيح او حسن ان احداً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم طلب من قبر النبي عليه افضل الصلاة

والسلام شيئاً مما يطلبه عامتنا اليوم من قبور المشايخ المشهورين بالولاية والصلاح او طلبوا منه الدعاء بقضاء حاجاتهم كما يزعم صاحب المقدمة ام قال احد السلف الصالح بذلك ؟ كلا ان صاحب المقدمة لا يقدر على هذه الدعوى ولكنه يزعم ان بعض علماء القرون المتوسطة قال بذلك . والنجاة انما هي في اتباع الكتاب والسنة على ما كان عليه السلف الصالح لا فى اتباع هؤلاء الذين تدل رسائلهم التى نشرها على انهم قالوا ماقالوه بارائهم لانهم لم يستدلوا عليه بما يصح الاستدلال به ولانهم لا يميزون بين الحديث الصحيح والموضوع لان رسائلهم هذه مملوءة — كما قلنا — بالاحاديث الموضوعة والمنكرة

والذى استقر عليه اجتهاد الامام الغزالى بعد ما خاض فى الفلسفة والتصوف وتوسع فى الفقه والجدل والكلام ان السعادة فى اتباع القرآن الكريم فى العقائد وما اجمع عليه الائمة فى الاعمال والاخذ بالاحتياط فيما اختلفوا فيه . ودعوى ان بعض الاموات يكونون واسطة بين الله وبين الناس يقضون حوائجهم باذنه مما يتعلق بالعقائد اولا وبالذات ثم بالعبادة ولم ترد فى كتاب ولا سنة ولا قول امام مجتهد فالغزالى يحكم برفضها وانكارها حتماً . وان صحت عنه تلك العبارة الفلسفية فى احتمال تأثير ارواح الموتى فى عالم الشهادة فهى ليست من الدين وانما هى من النظريات الفلسفية ولا بد ان يكون رجع عنها كما يفهم من كتابه (القسطاس المستقيم) وغيره

والذي روّج غش امثال هذه الرسائل من المصنفات في سوق العامة وكثير ممن يلبسون لباس الخاصة هو التسليم لكل ما يعد تعظيماً للانبياء

والاولياء واخذه بالقبول توهما منهم ان البحث فيه او التوقف فى قبوله يخل بالتعظيم . فما جاء فى المقدمة لهذا الشيخ الازهري المقلد ما نصه نقلاً «لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم او سوطه او عصادته على قبر عاص او مذنب لنجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار انسان او بلد لا يصيب سكانها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار او ساكن البلد فان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى العقبى مصروف الى ما هو له منسوب ودفع المكاره والعقوبات مفوض من الله تعالى الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ما حرص النبي صلوات الله عليه بهمته اليه من غيره كما كان فى حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه بعد موته ازيد من تقربهم بها فى حال حياته ... »

ولكن هل يجوز لنا ان نحكم الى النبي عليه افضل الصلاة والسلام أن نقول عليه وعلى ملائكة الله تعالى ما لا نعلم ؟ كلا ان فى هذه العبارة مسائل (١) من اين علم قائلها ان اهتمام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى جوار الله تعالى مصروف الى آثاره التى فى الدنيا . أليس الاقرب ان يكون مصروفاً الى مناجاة الله تعالى والانس بلقائه (٢) ان النجاة فى الآخرة منوطة بحسب ما جاء فى الكتاب والسنة بالايمان الصحيح والعمل الصالح وامر العصاة مفوّض الى الله تعالى « يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء » ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم ان وضع السوط او الشعر على القبر من اسباب النجاة فهل يجوز لاحد ان يزيد فى دينه ما ليس منه بحجة التعظيم أم يجب الوقوف عند حدود الشريعة فى الاحكام وفى التعظيم نفسه أيضاً ؟ (٣) لو كان وضع السوط او الشعر على القبر منجياً من العذاب لكان

الاجدر بذلك الاتصال به صلى الله عليه وسلم في دار الدنيا وقد ورد في الصحيح ان سعد بن معاذ الشهيد احد اكابر الصحابة مات بين سحر النبي ونحره متكئاً على صدره ومع ذلك اخبر صلى الله عليه وسلم بأن ضغط القبر كان عليه شديداً . (٤) ان البلاد التي فيها من شعر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كالاستانة ومصر وغيرهما اصيبت بانواع من البلاء بل ان المدينة المنورة التي فيها جسده الشريف كله قد اصيبت بالوان من البلاء، حتى ان الحرم الشريف نهب وربطت فيه الخيول .

وحسبنا في تعظيمه صلى الله عليه وسلم ما علمنا الله ورسوله ككونه رحمة للعالمين وكونه على خلق عظيم الى غير ذلك مما لا يحصى . ولكن امثال هؤلاء المتأولين يتقولون بالنبي صلى الله عليه وسلم بغير علم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . فعلينا ان نقتصر في عقائدنا على تعليم الوحي من غير ان نزيد فيه بعقولنا واهوائنا او ننقص منه بالتأويل والتحريف . ولو صح في معانى تلك العبارة شيء لا ينافيه الواقع ولا يصادمه الوجود لقبلناه على ظاهره والا وفقنا بينه وبين الواقع كما هي القاعدة الشرعية . وعدم ورود ذلك لا ينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم في أعلا مقام

ومن اغرب مزاعم صاحب المقدمة والمفسد قياسانه المساواة بين طلب المعونة من الاحياء وطلبها من الاموات فاذا كان لا يفرق بين الحي والميت وقد فرق بينهما الوجود والشرع والعقل افلا يجب عليه التفريق بين ما يطلب من الاحياء من التعاون وبين ما يطلب من الاموات . يطلب الاحياء بعضهم من بعض التعاون على الامور الكسبية باسبابها التي قرنها الله تعالى بها وامرهم بالتعاون عليها في قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى »

ويطلبون من الاموات ما لا تناله يد الكاسب بجلب المصالح اودرء المفاسد من غير اسبابها التى قرنها الله تعالى بها وهذا النوع مختص بالله تعالى لا يستعان بغيره فيه كما لا يعبد غيره لقوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » — يطلبون من الاموات شفآء المرضى من غير معالجة ودفع البلآء من غير سببه . يطلبون منهم الانتقام من الاعدآء الذين يعجزون عن الانتقام منهم كتلك المرأة التى كانت تدعو المتبولى بان يهلك الطبيب الذى عالج ابنها فمات عقيب معالجته . يطلبون منهم ان يردوا عليهم من ضل وتاه من اولادهم وما فرّ أو سرق من مواشيهم ويقدمون لهم النذور لارضائهم . يطلبون منهم بل ومن قديسي النصارى (كمار جرجس) ان يحبلوا العاقر الخ الخ

مثل هذه المطالب يعرفها الشيخ الذى نقلنا كلامه فى المقدمة وكان يعدها وامثالها من الشرك كما سمعت ذلك منه باذنى . وقد كان فى مجلس ثابت باشا فى بعض ليالى شهر رمضان فذكروا الوهابية فانتصر لهم وشنع على الذين يطلبون القبور ويطلبون منها ما يطلبون اقبح تشنيع ردّ عليه فى المبالغة فيه الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله والناس يسمعون فما عدا مما بدا؟

اعتذر هذا الشيخ المقلد فى آخر مقدمته عن اكثر علمآء هذا العصر فيما يعتقد عليهم من ترك ارشاد العامة واهمال فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بانهم بالقآء الدروس الشرعية فى اكثر المساجد قائمون بذلك حق القيام . وهذا اعتذار غير صحيح كان يجب ان يخجل من كتابته فان اكثر المساجد خالية من الوعاظ والمرشدين . وقراءة بعض الكتب الصعبة للمجاورين فى الازهر وما قرب منه كمسجد سيدنا الحسين ومسجد محمد

بك وجامع المؤيد لا تغني عن العامة شيئاً لأنهم لا يقدرون على ترك اعمالهم في النهار والهجرة الى هذه المساجد لاجل سماعها ولو قدروا لما فهموها فاذا اراد العلماء ارشاد العامة وتعليمهم دينهم فلينتشروا في جميع المساجد وليعلموهم ما تمس اليه حاجتهم في وقت يتسنى لهم الاجتماع فيه كما بين المغرب والعشاء.

ثم عقب اعتذاره عن أولئك العلماء بذم القائمين بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بزعمه انهم غير مخلصين واستدل على طعنه وقدحه فيهم بدليلين بل بشبهتين سخيفتين (احداهما) انهم لو كانوا مخلصين لكسيت اقوالهم جلباب القبول. وهذا الدليل مردود عليه لوجوه احدها ان جهله بقبول ارشادهم لا يدل على نفيه [illegible]، أن عدم العلم بالشيء، لا يقتضي عدم ذلك الشيء في [illegible] من الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لم [illegible] سيدنا نوح عليه السلام. ثالثها ان سنة الله تعالى في قبول الارشاد ان يكون بالتدريج.

وتعريضه بهم بأنهم أذلوا وأهينوا حجة عليه فهل جهل ما قاساه سيد المصلحين عليه الصلاة والسلام من النفي والطرد والسب والضرب وأن الناس لم يؤمنوا به بمجرد دعوتهم الى الايمان. ولو لقي دعاة الاصلاح الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عشر معشار ما لقيه المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم لكان هذا الشيخ المقلد يستدل بذلك على كفرهم ويطفئ نار حسده بالتشفي منهم ولكن الله بفضله ورحمته اراد ان يؤيدهم ويؤيد بهم الدين، ولذلك يزيدهم رفعة وعزة على ممر الايام والسنين، وذلك من رحمته وفضله على المسلمين، واذا أنظر هذا الشيخ ومد في اجله فسيشاهد أثر أولئك المصلحين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان الا على

الظالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ،

(الشبهة الثانيـة) قوله : « ولو صدق هؤلاء فيما يزعمون لقاموا بالنهي عما اجمعت الامة على انكاره كالزنا والربا وشرب الخمر والمجاهرة بها وترك الصلاة والصوم » الخ . والجواب عنها انهم ينهون عن هذه المحرمات العملية ولكنهم جعلوا جل عنايتهم في النهي عن المنكرات في العقائد والاخلاق لانها الاصل الذي تبنى عليه الاعمال والى هذا الاشارة بحديث « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » وكيف ينفع النهي عن الاعمال مع وجود مثل هذه الرسائل التي نشرها والمقدمة التي حررها وفيها الكلام الذي يميت خشية الله تعالى من القلوب ويغري الناس بالمعاصي اعتماداً على الوسائل الذين يجوزنهم في الآخرة وان أساؤا وتركوا الفرائض وارتكبوا المحرمات ويقضون مصالحهم في الدنيا وان تركوا السعي والاسباب . ثم ان العامة اذا رأوا كتاباً كتب عليه انه للامام فلان ومقدمته للامام فلان يغترون بهذه الالقاب الضخمة ويأخذون ما فيها بالتسليم . فاذا رأوا فيها ما نصه : « الحديث التاسع : من حج حجة الاسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى عليَّ في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه » يتوهمون ان هؤلاء الائمة لاينسبون الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يقله ويجيزونه وينصحون الناس به وبناء على هذا يعتقدون ان عمل فريضة عينية كالحج على المستطيع وواجب كفائي كالجهاد وعمل آخر لم ترد به بخصوصه سنة تسقط سائر الفرائض عن الانسان بحيث لا يسأل عنها فاذا تسنى لاحد منهم ذلك وأمر بالصلاة وبالصوم لا يبالي لانه يعتقد ان الله تعالى لا يسأله عنهما . اذن انَّ النهي

عن هذه الكتب وعن الاتفاقات لهؤلاء الذين يسمون انفسهم ائمة مقدم على النهى عن الزنا والخمر وعلى الامر بالصلاة والصوم. والحديث موضوع كما بينه صاحب كتاب « الصارم المنكى » وغيره وفى هـذه الكتب غير ذلك من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما على مؤلفيها وناشريها وعلينا النهى عن الاغترار بها والله الموفق

« قسم الموالد والمواسم »

منعت الحكومة المصرية الناس فى هذا العام من كثرة الاجتماع فى الموالد حيث لم ترخص للبغايا والراقصات وباعة الحشيش واضرابهم من نصب خيامهم فى معاهد الاحتفال بالموالد والاحتراف بحرفهم الخبيثة الضارة خوفاً من انتشار الوباء وسريان العدوى . وكانت تصرح فى الاجازات باقامة هذه الموالد بوجوب الاقتصار على اقامة « الشعائر الدينية » وعجيب من حكومة اسلامية ان تسمى البدع شعائر اسلامية سواء كان ذلك عن علم او عن جهل فهي كما قال الشاعر :

اذا كنت لا تدرى فتلك مصيبة   وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

ثم زعم بعض العلماء ان هذه البدعة حسنة اذا خلت من المحرمات والمنكرات ولكن لم يقل احد بانها من شعائر الدين ، كيف وكلها من اوضاع المتأخرين ، وهى تزيد وتتجدد حيناً بعد حين ، ولم يعرف شيء منها عن السلف الصالحين ، وقد اعجبنا من رقعة الدعوة التى ارسلها الينا صاحب السماحة السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق لحضور الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم تصديرها بتسمية ذلك « عادة » فحيا الله العلم والفهم